

الشرح والبيان

مسائل موسى بن هارون العوفي الإباضي

للإمام المرتضى لدين الله

محمد بن يحيى بن الحسين

جمال الشامي

النسخة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
وعلى آله الطاهرين.

وبعد:

هذا أحد تراث الإمام المرتضى الكلامي وقد احتوى على مسائل
دقيقة أثارها المشبهة في وجه العدلية وباعتبار الإباضية من العدلية
قدمها أحد أعلامها في اليمن إلى الإمام المرتضى بغية الإجابة عنها بما
يقطع من يحتج بها عليه وعلى وجه الاختصار، ومما جاء فيها من
المسائل ما يلي:

- هل الجسم لا يكون إلا في مكان؟ وماذا عن السماء والأرض
وعن مكانهما ومكان مكانهما؟

لأن أهل التوحيد والعدل قالوا بنفي الجسمية عن الله تعالى لعل
منها أن من لوازم الأجسام الكون في مكان.

- هل الذات الإلهية توصف بالثبات أم بالتغير؟

والقول بالثبات قبل الخلق وبعد الخلق هو قول العدلية؛ لعدم قولهم
بالمكان والانتقال بل ولا التغير الذاتي كما هو عند المشبهة يوم القيامة.

- هل الأفعال الإلهية توصف بالثبات أم بالتغير؟

القول بثبات الصفات الفعلية لا يصح؛ لأن القول بأن الله لم يزل رازقاً ورحيماً ومعطياً يوجب أن معه من الخلق من يرزقهم ويرحمهم ويعطيهم قبل خلقهم!

- ما العلة من الخلق؟

لما وصف الله تعالى بالحكمة فمن المستحيل أن يقع العبث في أفعاله فأبرز العلل من إيجاد خلقه إظهار قدرته وتبيين حكمته، والتفضل عليهم بخلقهم، وتركيب عقولهم، وحواسهم، وتبيين ما يهديهم.

- هل الكون نشأ من العدم؟

هذا السؤال لكم حيّر العقول المؤهلة والملحدة إلى وقت قريب حتى كشف الجواب عنه الملاحدة قبل المؤهلة علمياً وثبت نشوء الكون من العدم استناداً إلى ما يسمى بـ(الانفجار العظيم)، إلا أن السؤال في السابق كان عن إمكانية خلق الأشياء من شيء؟ إلا أن هذا التساؤل أيضاً ووجهه بتساؤلات هل الشيء (أصل الخلق) من خلق الله أو من غيره؟ وهل الشيء هذا صانع أو مصنوع؟ وقد أجاب عن ذلك الإمام المرتضى.

- هل عصمة الأنبياء تمنعهم من الخطيئة؟

بناء على القرآن يظهر أنهم بشر أولاً وأنهم يخطئون ثانياً، فكونهم
مركبين على بنية الآدميين فالغفلة والسهو من لوازم هذه البنية، وإقرار
الأنبياء بخطاياهم تأكيداً على أن العصمة إنما هي في التبليغ عن الله
فقط وكما يقول الإمام المرتضى: «ولا يجوز أن يقال أن الأنبياء لا تغفل
ولا تنسى ولا تخطئ؛ لأن هذه الصفة لا يوصف بها أحد من
المخلوقين»، فكيف بمن يضيفها لمن هم دون الأنبياء!

وقال الإمام المرتضى: «وقد يقال أن الإنسان إنما سُمي إنساناً؛ من
طريق النسيان، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ
فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥]».

- هل يجوز إخلاف الله وعيده؟

وهذه المسألة من أخطر المسائل التي لها تأثير جسيم في سلوك من
يقول بها لأن جواز إخلاف الوعيد بمعنى تعطيل العمل بالقانون ولولا
نفاذ القانون ما ألتزم به إنسان غالباً، ولو جاز الإخلاف بالوعيد لجاز
بالوعد وجواز أحدهما أو كلاهما يخالف العقل أولاً ومن ثم آيات القرآن
المحكمة، وكما يقول الإمام المرتضى: «فلو أنال أعداءه ثوابه ما عرف
أوليائه نعمته التي خصهم بها والكرامة التي أنالهم إياها على طاعتهم

له؛ إذ قد نال أعداءه مثل ما لهم، وكانت حالهم في النعمة كحالهم به»، فتتساوى عند ذلك الطاعة والمعصية ولذا من يرقب سلوك الشعوب الإسلامية في الحاضر يجد التناقض الصارخ بينها وبين نصوص القرآن وأخلاق الإسلام كأن هناك إيمان عام لديها بعدم تحقق الوعيد. وغير ذلك من المسائل المفيدة، وقد نقل عن هذا الكتاب الإمام المتوكل أحمد بن سليمان - المتوفى سنة ٥٦٠ هـ - في كتابه حقائق المعرفة، والسيد العلامة حميدان بن يحيى القاسمي - المتوفى في القرن السابع - في كتابه التصريح، ويقع المخطوط في مجموع فيه كتب ورسائل للإمام الهادي والإمام المرتضى يعود ملكه للإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم سنة ١٠٣٤ هـ ومن ثم ورثته كما هو مدون عليه، ويوجد في جامع شهارة، ولأهميته توجب نشره، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

٨ ذو القعدة ١٤٣٨ هـ.

٣١ / ٧ / ٢٠١٧ م.

التعريف بالمؤلف

هو: محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن الإمام إبراهيم بن الإمام الحسن بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، المرتضى لدين الله، أبو القاسم^(١).

أمه: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢).

مولده: ولد سنة ٢٧٨هـ^(٣) كما هو مذكور في الكتب مع أن مولده حقيقة كان قبل ذلك العام بكثير لعله ٢٦٨هـ فأقل؛ لأنه قدم مع أبيه إلى اليمن سنة ٢٨٤هـ على هذا المولد يكون عمره ست سنوات! وقد شارك في الجهاد وتعرض للأسر وكيف يعقل ذلك من

(١) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص ١٣٣، الأعلام ج ٧ ص ١٣٥.

(٢) الشجرة المباركة ص ٢٥.

(٣) الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية ص ١٣٣، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص ٣٣١، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ص ٢٥.

طفل صغير غير مكلف بذلك، ونشأ على طريقة آباءه في التقوى واليقين والتحلي بآداب الأئمة الهادين.

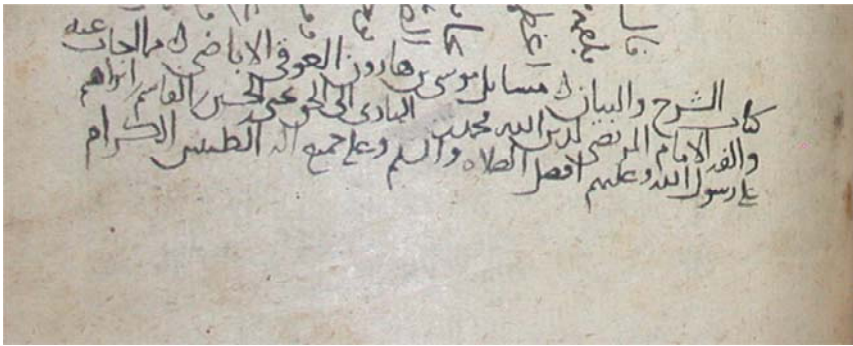
آثاره الفكرية: خلف تراثاً جليلاً كلامياً وفقهياً وحديثاً على منوال أبيه في أصالة الحجج والبيان ومن ذلك: كتاب الأصول في التوحيد والعدل، وكتاب الإيضاح في الفقه، كتاب النوازل جزآن، وجواب مسائل المعقلي، وجواب مسائل مهدي، وكتاب النبوة، وكتاب الإرادة، وكتاب المشيئة، وكتاب التوبة، وكتاب الرد على الروافض، وكتاب في فضائل سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وكتاب الرد على القرامطة، وكتاب الشرح والبيان ثلاثة أجزاء، وكتاب الرضاع، وكتاب مسائل القُدَميين، وكتاب مسائل الجابريين، وكتاب تفسير القرآن تسعة أجزاء، وكتاب مسائل الطبريين خمسة أجزاء، وكتاب مسائل مهدي أربعة أجزاء، وكتاب مسائل ابن الناصر، وكتاب مسائل البيوع ثلاثة أجزاء، وكتاب مسائل عبدالله بن سليمان، وجواب ابن فضل القرمطي، وفصل المرتضى، وكتاب النهي^(١).

(١) التحف شرح الزلف ص ١٩٠.

وفاته: توفي الإمام المرتضى لدين الله سنة ٣١٠ هـ بصعدة حرسها الله، وله اثنتان وثلاثون سنة كما قيل، ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام^(١).

(١) الإفادة ص ١٧٠.

نموذج من المخطوط



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين
 ثم ياتي بالنسب وعلى الله الطيبين الحمد الذي على عن سبب المحققين وهدى عن درك حواس المؤمنين والواحد الاحد
 القدر الذي لا يخفى الاقطار ولا تصد للسل والنهار ولا نصفه الواصفين والآخرى نعم العالمين المخرجات
 طر إليها العاقبة وهو الذي لا على نفسه ما فطر وبن من خلقه دلج الارض ذات النهاد لا طيت ولا اوزنا صلت
 الا ليس عن صفته والمشترب العقول عن الا حاط به بكيفية الاما دل على نفسه من اثار صفته وحسن بغيره
 مجرة وتب عينه وتوهم به وسوكل عليه واستهزأ به الا الله وحده لا شريك له شهادة محام له البرج
 معبر بالبرية معترف بالعبودية مثبت له سبحانه القديم والادله حالف الخلق لا مثاب الموحدين بالخلق
 والاحسان لخلق النار وعزى الانهار ومثبت الاستحار العزير الحيات الملك لله هار واستهزأ به محمد بن عبد الله
 ارسيله بالهداية ليعا الى الحق وسأله على الخلق في اهره وراهم في سره في بها المحسن ووطع بها قول المنع
 وسهف له بالرسالة من رب العالمين لهلك من كان عن سبه وخبا من حج عن سبه فلا الله اسع علم
 ولمح صلى الله عليه وسلم في الدلالة وادانها امر به الامانة صابر لغيبها حاميها مستمرا احدا ورجع الحق
 وانا الصديق واوقف على الحق ووطع كل حجة لو قصه الله حمدا مفقودا ورضي عنه وسخر
 امره فرجت الله عليه وصلواته ومجهرته وبس كانه **وسال** الله وهدى الله
 الى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين

نص الكتاب

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين
وصلّى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين.

الحمد لله الذي علا عن شبه المخلوقين، وقّس عن درك حواس
المربوبين، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا تحويه الأقطار، ولا
ينقصه الليل والنهار، ولا يصفه الواصفون، ولا يجزي نعمه العالمون،
المكون الأشياء، الفاطر للسماء، الفاتق للهواء، الدال على نفسه بما
فطر وبرأ من خلقه، داحي الأرض ذات المهاد بلا طنب ولا أوتاد،
كلت الألسن عن صفته، وانحسرت العقول عن الاحاطة به بتكليف إلا
بما دل على نفسه من آثار صنعه، وحسن تقديره.

نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، شهادة مخلص له بالتوحيد، مقراً بالربوبية، معترف
بالعبودية، مثبت له سبحانه القدم والأزلية، خالق الخلق بلا مثال،
الموجد لهم بلا كلفة ولا احتيال، جاعل البحار، ومجري الأنهار، ومنبت
الأشجار، العزيز الجبار، الملك القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
أرسله بالهدى داعياً إلى الحق، وشاهداً على الخلق بحجج باهرة، وبراهين

منيرة فلج بها الجاحدين، وقطع بها قول [المغير]^(١)، وشهدت له بالرسالة من رب العلمين ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، فبلغ صلى الله عليه الرسالة، ونصح في الدلالة، وأدى فيما أمر به الأمانة، صابراً محتسباً، جاهداً مستمراً، حتى أوضح الحق، وأبان الصدق، وأوقف على المحجة، وقطع كل حجة، ثم قبضه الله حميداً مفقوداً، قد رضي سعيه، وشكر أمره، فرحمة الله عليه وصلواته ومغفرته وبركاته.

[الجسم والكون في المكان]:

وسألت - أرشدك الله وهداك وأعانك وكفاك - عن المحجة على من قال: إنكم احتججتم علينا في التشبيه أنكم قلتم: أن الجسم لا يكون إلا في مكان، فأخبرونا عن السماء والأرض هما في مكان أم لا؟ قال: فإن قلنا: هما في مكان أيضاً.

قال: فهل للمكان مكان؟

قال: فإن قلنا: ذلك أوجبنا أن الأشياء لا نهاية لها ولا غاية.

وإن قلنا: أنهما لا في مكان، فما الذي أنكرنا من مقاتلهم؟

(١) لعلها كذا.

قلت: فالدليل على كسير مقالاتهم كيف هو؟ وما الجواب في ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الجواب فيه كثير، ونحن نختصره لك بعون الله.

نقول: أن الله عز وجل كان ولا مكان، وهو الجاعل لكل مكان، فلو قلنا: أنه لم يزل مع الله مكان لأوجبنا أنه لم يزل معه قديماً أزلياً! ولو قال بذلك قائل لأبطل توحيده؛ لأنه لا يخلوا [ذلك] (١) من أن يكون سابقاً لله عز وجل فقد أوجبوا أن معه ما هو أقدم منه، ومن قال بذلك فقد كفر وجعل شيئاً من غير خلق الله موجوداً.

فإن قالوا: أن المكان من خلق الله وهو الجاعل له؟ فقد كان سبحانه ولا مكان تعالى الله عما يقول المبطلون والمشبهون علواً كبيراً، ولكن الله سبحانه خلق الهواء وجعله مكاناً للأرض والسماء ليس بعدهما ما يقع عليه اسم شيء من الأشياء، فهذه حجة قاطعة لهم والدليل على ذلك قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، فذكر عز وجل خلق السماوات والأرض وما بينهما ولم يذكر شيئاً

(١) لعلها كذا.

بعدهما، ولو كان له خلق سواهما لذكره كما ذكرهما، وما خلق بينهما ولا يقال بينهما إلا بما يقابلن عليه وحوينه وحال بين أطباقهن وحددنه لكونه فيهن، ولو كان بعد الأرض السابعة والسماء السابعة شيء لقال وما بينهما وما فوقهن وتحتهن، فلم يذكر سبحانه شيئاً خلقه إلا السماوات والأرضين وما بينهما لا غير ذلك من الأشياء سبحانه وتعالى.

فإن قال قائل: فإذا قلت أن الأرض والسماء اقيمتا في الهواء فقيم أقيم الهواء؟

قيل له: في غير شيء من الأشياء أقامه الخالق لجميع ما يرى، فهو سبحانه المقيم له في غير مكان؛ إذ هو عز وجل القادر على ما أراد. فإن قال: لا بد أن يكون الهواء في مكان؟

قيل له: وكذلك المكان لا بد له من مكان، وكذلك المكان أيضاً لا بد له من مكان، وإذا كان كذلك كان إلى غير غاية، وبطل القول وبان الفساد وصار بلا شك نائياً عن السداد؛ لأنه لا يكون على قوله مكان حتى يتقدمه مكان وإذا كان لا يكون متقدماً حتى يتقدم متقدم لم يكن إذاً شيء يدرك، أو ليس الذي خلق الأشياء من غير شيء

قادراً أن يقبض الهواء في غير شيء؟ بلى ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[الذات الإلهية والثبات]:

وقلت: فإن سألنا سائل من المشبهة عن الله تبارك وتعالى هو فيما لم يزل على مثل ما هو عند ما خلق؟
قالوا: فإن قلنا: نعم.
قالوا: فما علة كون الخلق.
وإن قلنا: لا أقررنا بأنه تحرك - تعالى عما يقولون - .
وقلت: ما الجواب لهم في ذلك؟
قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه مسألة مختلفة غير قائمة
فآخرها غير أولها، وأولها غير آخرها، ولكل جواب.
أما قولهم: أهو فيما لم يزل على مثل ما هو عندما خلق؟
فقولهم: هو فيما لم يزل يقتضي أنه لم يزل مع الله شيء، وهذا
قول يفسد التوحيد تعالى عن ذلك ذو العظمة الواحد الحميد الذي لم
يزل ولا يزال، ولا يتغير ولا يتحول، ولم يستفد بخلقه معرفة، ولا
بتكوينهم منفعة، علمه بهم عند تكوينهم كعلمه بهم قبل خلقهم.

فقلت: فإن قالوا: فما علة تكوين الخلق؟

قيل لهم: لإظهار القدرة وتبيين الحكمة، لأنه سبحانه إنما تتبين حكمته ويستدل على قدرته بآثار صنعه وتدبيره، وما أبان في خلقه من حكمته وتقديره، فكان ذلك دليلاً عليه سبحانه وإيجاده لخلقه فرحمة منه لهم وإحسان إليهم؛ إذ أوجدهم بعد العدم، وأسبغ عليهم الفضل والنعم، ثم ركب فيهم عقولاً مميزة، وحواساً مستدركة، ثم أمرهم ونهاهم وبين لهم غيهم وهداهم، وعرضهم للمنفعة ودلهم على طريق الجنة. وإن كانوا أرادوا بقولهم: أهو سبحانه في صفة ذاته عند إيجاده لخلقه كما كان سبحانه من قبل خلقه لهم؟ فهو عز وجل كذلك لم تزل صفات ذاته من قبل خلقه علاماً توصف به عند إيجاد بريته، وكل ما أوجد وبرأ فإنما أحدث لنفسه عن خلقه له صفات فعل وصف بها مع كون خلقه، ولا يوصف بها من قبل ما أحدث من بريته؛ لأنه لو قيل لم يزل رازقاً لم يزل رحيماً لم يزل معطياً، لأوجبنا أنه لم يزل معه من الخلق من يتفضل عليهم ويرزقهم ويرحمهم، وهذه من صفات فعله لا من صفات ذاته.

[وجود الأشياء من العدم]:

وقلت: إن سأل سائل عن الدليل أن الأشياء خلقت لا من شيء؟ فقلت: ما الحجة في ذلك؟

[الجواب]: فالقول في ذلك أن الأشياء محدثة مجعولة مبتدعة مخلوقة؛ لأن الله سبحانه لو كان خلق الأشياء من شيء لكان ذلك الشيء لا يخلوا من أحد معينين:

- إما أن يكون خلقاً لله، فذلك محدث لم يكن إلا بإحداث الله وتكوينه إياه، فقد خلقه لا من شيء من الأشياء.

- أو يكون شيئاً قديماً لم يزل مع الله عز وجل، فقد لزم من قال بذلك قول أصحاب الظلمة وأدخل في قوله الكفر بالوحدانية؛ إذ جعل شيئاً قديماً ليس من خلق الله تعالى عما يقول الجاهلون وينسبه إليه المبطلون.

ومن قال: أن الأشياء خلقت من شيء، قيل له: امقر بالله أنت؟ فإن أقر به سبحانه، كان من جوابك له أن تقول: أخبرنا عن هذا الشيء الذي خلقت الأشياء منه أزلي مع الله ليس من خلقه؟
فإن قال: بذلك، فقد أبطل التوحيد وجعل مع الله شيئاً لم يزل ليس من خلقه.

ثم لا يخلوا هذا الشيء من أن يكون من صانع أو هو صانع؟ فإن كان من صانع سوى الله سبحانه، فقد أثبت خالقين! وإن قال: أنه من الله فقد أثبت الخلق لله، وصح أن هذا الشيء تقدير من الله مجعول محدث.

وإن قال: أن هذا الشيء الذي صُنعت الأشياء منه صانعاً، فقد ناقض قوله وبين فساده؛ إذ جعله صانعاً مصنوعاً منه في حال، وثبت بذلك فيه آثار الصنع والتدبير والتصوير والتقدير، فوجب بذلك أنه مُدَبَّر مجعول محمول ويزول وتشهد أحواله بذلك عليه وتلك آثار الصنعة فيه على خالقه الجاعل له والمؤلف لأجزائه، الواحد القديم المدبر العليم المتعالي عن شبه المخلوقين، ذلك رب العالمين الذي لا تحده الأقطار، ولا تحجبه الأستار، ولا تغيّره الأزمان، عز عن ذلك ذو العزة والسلطان، فقد صح وثبت والله الحمد أن كل محدود^(١) خلقاً لله مقدوراً مبتدعاً مجعولاً، فتعالى الله عما يقول المفترون وينسبه إليه الجاهلون، ولوا سعيينا في الجواب لكثير الحجاج وأطرد الخطاب ولفتحنا في ذلك كثيراً من الأبواب، لكن ذهبنا في ذلك إلى ما سألت - أكرمك الله - من الاختصار والله ولي العون والإحسان.

(١) قال الإمام علي عليه السلام: «وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ» أي جعله من الأشياء المحدثه، وهذا حق؛ لأن كل محدود معدود في الذوات المحدثه. شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٧٦.

[خطايا الأنبياء]:

وقلت: إن سأل سائل فقال: أخبرونا عن قول موسى عليه السلام ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦]، فقال: هل كان حال ظلمه لنفسه مؤمناً أم لا؟

قلت: إن قلنا هو حال ظلمه لنفسه مؤمن، تركنا قولنا.

وإن قلنا: ليس بمؤمن، كفرنا نبي الله.

فالجواب في ذلك أن يقال لهم: إن الذي أنكروا وجدتم منه والحجة قائمة قد وقعتم في أشد منه بلا حجة، إنا وجدنا الله عز وجل يخبر عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦]، فأخبرنا وقطعنا بما أخبرنا الله عز وجل، أفيجوز أن يكون موسى عليه السلام لم يظلم نفسه وهو تظلمها ويقول: ظلمت نفسي! أو يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل أن يكون يخبر بمثل ما أخبر موسى عن نفسه ويذكر مغفرته له في خطيئته ولم تكن منه خطيئة ولا زلة!

فإن قلنا: أنه لم تكن منه خطيئة ولا ظلم لنفسه كما ذكر، فقد جحدنا كلما جاء في الكتاب من ذكر خطيئة موسى، فإذا الذي

كرهتم قوله قد وقعتم في أشر منه، وخطيئة موسى عليه السلام فإنما كانت على غير تعمد.

وقلت: هل كان حال ظلمه لنفسه مؤمناً وقد كان صلى الله عليه عارفاً بالله موحداً له، ولم تكن معه من معرفة الشريعة ما دله الله عليه عند إرساله؛ لأن الحجج لله عز وجل على عباده معينين: فحجج العقل التي ركبها الله سبحانه فيهم تدل عليه، وتشهد له بالوحدانية والخلق لجميع البرية، والحجج المسموعة التي لا يلحقها العبد إلا بسمع، وقد كان صلى الله عليه في وقت خطيئته كامل المعرفة بأمر الله سبحانه، فغفل ونسي حتى وقع فيما عنه هُي فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [القصص: ١٦]، أفيقول أن آدم لم يظلم نفسه والله عز وجل يقول: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢]، فلا تكون التوبة إلا من بعد الخطيئة، ثم قال سبحانه يخبر عن يونس عليه السلام وما كان من قوله في بطن الحوت: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فيقول أنه لم يظلم! هذا ما لا يجوز في مقال ولا يصح عند المناظرة به جدال؛ لأن الأنبياء صلوات الله عليهم يغفلون ويسهون وإنما بنيتهم مركبة على بنية الآدميين، ولكن

نقول خطايا الأنبياء بأوضح الأشياء: أنهم صلوات الله عليهم لا يركبون معصية تعمداً ولا يأتونها أبداً قصداً، وإنما تكون منهم على الغفلة والنسيان والسهوة التي تكون في الإنسان، ولا يجوز أن يقال أن الأنبياء لا تغفل ولا تنسى ولا تخطئ؛ لأن هذه الصفة لا يوصف بها أحد من المخلوقين، وقد يقال أن الإنسان إنما سمي إنساناً؛ من طريق النسيان، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ [طه: ١١٥]، وليس من أخطأ في حال الغفلة لا على القصد للمعصية كحال من تعمد المعصية وقصد الخطيئة؛ قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطْئاً﴾ [النساء: ٩٢]، فلم يخرج به بقتل الخطأ من اسم الإيمان إذا كان كذلك منه على غير عمد ولا عصيان.

[خطاب المؤمنين وغيرهم]:

وقلت: إن سأل سائل عن قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ

اللَّهُ ﴿[الجمعة: ٩]﴾، فقال: إن كان الأمر للمؤمنين خاصة دون المنافقين

فليس عليهم ﴿(١)﴾ فرض ولا تكليف وأبطلنا الفرض عنهم؟

وإن قلنا: الفرض على المنافقين مع المؤمنين أثبتنا لهم أنهم مؤمنين؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل لجميع

من آمن به فكان ذلك دلالة منه سبحانه للمؤمنين وإقامة حجة على

المنافقين، مثل ذلك مثل رجل أسلم من جماعة أخوة كانوا له، ثم لم

يقم بحقيقة الإيمان وكان من أهل النفاق والعصيان، فيقول الحاكم إذا

أراد إقامة الأحكام عليه ائتوا بني فلان فليستفهمهم المستفهم فيقول أن

بني فلان الذي آمن فيقول - وهو منافق عاصي - فلم يكن بد أن

يدعا بهذا الاسم إذا كانوا إخوته مشركين، كذلك الله عز وجل لما أن

كان في عصر نبيه عليه السلام مشرك ومؤمن فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا﴾، لتمييزهم من الذي لم يؤمنوا، ثم كان في المؤمنين منافقون

فجاز أن يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الاسم الذي

سمى به من خرج من الكفر ورجع إلى الإيمان فكان الاسم للمؤمنين

على الحقيقة ودخل فيه المنافقون على المجاز والاسم الذي وقع عليه

عند إسلامه؛ لأن المنافق لا يدعا منافقاً إلا بإساراره في قلبه وضميره

(١) كلمة غير واضحة التصوير.

خلاف ما يظهر من فعله وكلامه، ولذلك على جملة الإسلام حتى تتبين منه الخيانة في الإيمان ثم تلزمه عند ذلك الأحكام، وليس نفاقه لمخرج له الأحكام التي تجري على كل من آمن بالله سبحانه وصدق رسوله عليه السلام، فكان الأمر من الله للمؤمنين بالسعي إلى الصلاة نادياً وتفهيماً وتعريفاً لما يقربهم إلى الله سبحانه فكانت المخاطبة لأهل الإخلاص أمراً وحضاً وللمنافقين تخويفاً وتنبهياً وأمراً بالرجعة على الحقيقة إلى ما أمر الله به أهل الإقرار والتصديق بأمره كما تقول للقوم إذا عاهدوكم نكث بعضهم: يا أيها المعاهدون انفروا بما عاهدتم عليه وإلا فعلت بكم كذا وكذا، فكان وعيدك إنما هو للناكثين لا لأهل الوفاء من المعاهدين كما قال سبحانه في آخر آية اللعان: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠] فأراد لفعلت بالكاذب وأبت أمره وعقوبته فكفى ذلك وكان جائزاً في الكلام ومعروفاً في اللغة أنه حين قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ دل ذلك أنه لولا فضله لكان منه لكم العقوبة والتبيين لما تلاعنتا عليه، وكما قال سبحانه في آخر الآية التي أمر فيها بالسعي إلى الصلاة حين يقول: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩] فدل بقوله خير لكم إن فعلتم غيره كان أشر لكم، ولا يكون الشر إلا من العقوبة

أو ما ينزل من النعمة خلاف النعمة فأخبر بقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ عز أن يقول وإن لم تفعلوا فهو شر لكم كما يقول القائل: الزم العاقبة فذلك خير لك، فكان قوله هذا وعيداً للذي وخره، والشاهد على ما قلنا أنه يلزم المنافقين الاسم قول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] فدعاهم إلى الإيمان وأمر بقتلهم عند البغي والعصيان كما قال سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] ثم قال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ثم قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ثم قال: ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧] فقد دخل الذين قال الله سبحانه لهم: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] في اسم الإسلام وإن كانوا على غير حقيقة الإيمان، فكان هذا الإسلام لأهل الإيمان والإسلام على الحقيقة وكان هؤلاء المسمون باسم الإسلام على التسمية؛ إذ قد دخلوا فيه وجرت عليهم أحكامه.

[إنفاذ الوعيد]:

وقلت: إن سأل سائل فقال: أخبروني أحليم من يعذب بالنار طول الأبد والله يقول: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، فهل يكون من العدل أن يشرب إنسان جرعة خمر ثم يموت عليها فيعذب طول الأبد؟!؟

فالجواب في ذلك: أن الله عز وجل عادل لا يجور، صادق الوعد والوعيد، وقد أوضح لخلقه المحجة وبين لهم الحجة ودلهم على طريق النجاة، ونهاهم عن المعصية وأعذر إليهم فيها وبينها وأعنها عنها وأخبر بعقوبته عليها، ثم قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] فكان وعد الله ووعيده حقاً لا خلف فيه ولا يحل لأحد أن يشك في ذلك؛ لأن من شك في صدق الله سبحانه فقد شك في الله، ومن شك في الله فقد كفر به، وكان حكمه سبحانه في من مات مصراً على معصية أن يوصله بذلك إلى أشد العقوبة، قال الله سبحانه: ﴿وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨]، وقد أنصف الله سبحانه خلقه وعدل بينهم في حكمه أو لا ترى أن رجلاً لو عصى الله سبحانه عمره ثم

تاب وأخلص ورجع وأقلع في صحة من بدنه ومن قبل نزول الموت به أن تلك الذنوب جميعاً تحط عنه ويغفر له فإن مات على ذلك دخل الجنة، فكذلك من ختم عمله بالمعصية لله سبحانه ومات عليها حكم الله له بالعذاب كما حكم له عند التوبة بالثواب فهذا عين العدل والانصاف، ولو جاز أن يدخل من مات على معصية واحدة لجاز أن يدخلها من مات على معصية ومعصيتين ولو جاز ذلك لجاز أن يدخل الجنة من عصى عشرًا وعشرين مرة، وإذا جاز ذلك فقد بطل الوعيد ووقع الإخلاف والفساد، ولو جاز أن يقع في الوعيد الإخلاف لجاز أن يقع في الوعد الإخلاف ومن قال بذلك فقد خرج من الدين وجاهر بتكذيب رب العالمين، ولو أنال أعداءه ثوابه ما عرف أوليائه نعمته التي خصهم بها والكرامة التي أنالهم إياها على طاعتهم له؛ إذ قد نال أعداءه مثل ما لهم وكانت حالهم في النعمة كحالهم به.

وأما قوله سبحانه: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]

فليس عذابه لهذا المذنب على الخطيئة إلا جزاء لفعله؛ إذ كانت خطيئته كسيئة وكان جزاؤها سيئة مثلها والسيئة مثلها، فمتى ما أوجب الله من عقابه عليها فكل ما نزل بالعبد من العقاب بسوئاته إليه ومجازاة على فعله؛ إذ خالف أمر خالقه وجاهره بالمعصية فحكم عليه عند

ذلك من العقوبة بما حكم به على أهل المخالفة من الخزي والهوان والخلود في النيران.

[البقاء بين الخالق والمخلوق]:

وقلت: إن سأل سائل فقال: أخبرونا أتزعمون أن الله باقي لا يزول وأن الآخرة باقية لا تزول؟
فإذا قلتم: نعم.

فقالوا: فقد شبهتم إذ زعمتم أنها باقية؛ لأن الله عز وجل الباقي!
فما الجواب في ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الجواب في ذلك أن الآخرة مخلوقة محدثة، وهل يكون المحدث كالمحدث!

أن الآخرة إنما سميت باقية بإبقاء الله لها، وإنما قولنا باقية على مجاز الكلام وإنما هي عند الله [على] صحيح الكلام مبقاه كما يقال: الله حي لا يموت، ويقال: الإنسان حي؛ وإنما يقال له حي على مجاز الكلام وإنما هو على الصحة مُحْيٍ، ويقال: مات فلان وإنما المعنى أُميت، ويقال: غابت الشمس وغيوبها من غيرها لا منها وهذا ومثله يُجوز في اللغة فليس هذا مما يلحق به تشبيهه، وكيف يشبه بالله الواحد

الأحد ما لم يكن وكون وجعل وصور! وإنما بقاءه بإبقاء خالقه له
سبحانه الله العلي الواحد الصمد الفرد، وأيضاً بقاء الآخرة كبقاء من
هو فيها ومن رد من بعد الفناء إليها.

[التنقل في مآكل الجنة]:

وقلت: فإن قال قائل: أخبرونا عن أهل الجنة هل يأكلون التمر
ثم يصيرون إلى فاكهة غيرها؟
فإذا قلنا: نعم.

قالوا: فتركهم لها هل هو من ملالة منهم لها أم تركوها وهم
يشتهوها؟

فإن قلنا: تركوها من ملالة، فقد دخل أهل الجنة المكروه!
وإن قلنا: تركوها وهم يشتهوها، فقد كذبنا قول الله عز وجل:
﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(١) [النحل: ٥٧]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يقال لهم: إن الأمر ليس كما
توهمتم ولا على ما إليه ذهبتم من الملالة والكراهية ومفارقة ما يشتهون،
ولكن نقول أنهم كما قال الله سبحانه: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ

(١) مكتوب: لهم فيها ما يشتهون.

رَزَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴿البقرة: ٢٥﴾

يريد الله سبحانه بالمتشابه أي مشابهاً في الشهوة والإرادة والمحبة والطيب لا تختلف في أرزاقهم لهم محبة ولا تدخلهم له كراهية، قد أوتوه على ما يشتهون ليس فيه معابة يعيرون مثل أهل الدنيا الذين يأتيهم الطعام فيشتهونه ثم يأتيهم ما هو دونه فيكرهونه، وأرزاق الآخرة ليس فيها شيء يكره قد أطلع الله على مراد أهل طاعته فرزقهم ما يشتهون وأعطاهم في ذلك ما يحبون، لا تختلف عليهم نعمه ولا يقع في قلوبهم لشيء مما رزقوا كراهية فكلما أكلوا من ثمره وجدوها على غاية ما يكون من الإرادة، ثم ينتقلون إلى غيرها فيكون انتقالهم منها عن غير بغض لها وإنما يتفكهون في أرزاق الله عز وجل وهي الإرادة والمحبة عندهم مستوية وفي الألوان مختلفة، مثل ذلك عنقود في يد رجل وهو يأكل منه عنبه بعد عنبه فليس أكمله ثانية وبدؤه بها بغض منه للثالثة ولا أكمله الثالثة إلا كأكله الثانية فهو يأكل منه واحدة بعد واحدة، وليس يسعه من رزق واحد من رزق الجنة لمبغض له إليه ولا بموجب لكرهيته، ولو كان أن انتقاله منه إلى غيره بغضاً له ولو كان ذلك كذلك لوقعت الملالة في جميع أرزاق الجنة، ولو كان لا يجوز له أن ينتقل من الشيء الواحد إلا بأن تقع فيه ملالة لوجب أنه لا يزال يأكل أبداً؛ لأن الأكل لذة وتركه استغناء، ولو دام يأكل أبداً ما كانت له قبيحة ولا

انبساط ولا لذة غير ما هو فيه إذا كان التحول منه عندهم ترك شهوة وملاحة، وكذلك يجب أيضاً أن لا يشرب الماء لأن تركه الأكل إلى أن يشرب الماء يفارقه للذة وهذا قول فاسد مدخول، ولكن ينتقل المؤمن من لذة إلى لذة وشهوة إلى شهوة وهو غير كاره للأولة.

[البقاء المطلق والبقاء النسبي]:

وقلت: إن سألنا سائل فقال: أخبروني أليس الله أبقي من الآخرة فأجابه الجيب أنه أبقي الأشياء.

فقال: هو أبقي ثم الآخرة؟

فإن قال: هو أبقي فقد أبطل الآخرة.

وإن قال: هما سواء، فقد شبه الله سبحانه.

قال: [محمد بن يحيى عليه السلام] قد أجبنا في المسألة الأولى المشبهة فهذه سواء والجواب فيها كالجواب في الأولى، وليس يقاس بالله سبحانه شيء وبإبقائه الآخرة تبقى وليس بمبقية لنفسها، والآخرة وإنما هي الدار الثانية التي ينتقل إليها الخلق، وإنما سُميت الآخرة؛ لتقدم الدنيا لها وحالها كحال من هو فيها وقد شرحنا ذلك في المسألة الأولى.

[العلم الاكتسابي]:

وقلت: إن سأل سائل فقال: أخبرونا أتعلمون أن البياض بياض
والسود سواد؟

فإن قلنا: نعم.

قال: فأخبرونا عن المعنى الذي علمتم به أن البياض بياض والسود
سواد؟

فإن قلنا: الله أعلم به، ألزمنا انفسنا الجهل.

وإن قلنا: علمنا كعلم الله، شبهنا الله بخلقه!

[الجواب]: قال إن كنت أردت بقولك: أتعلمون أن البياض
بياض والسود سواد أي نعلمه بالأسماء ونقف عليه بالمعرفة فإن ذلك
قد يمكن؛ لأن الله عز وجل المعرف لنا به والدادل عليه كما قال
سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، والأسماء على
معنيين: فاسم سماه الله، واسم تعارفه الناس بينهم، فمعرفتنا بالبياض
والسود فتعليم الله لنا ودلالته إيانا كما عرفنا الأرض والسماء والنجوم
والسحاب والأفلاك، كل هذه أسماء علمناها الله سبحانه ودلنا لها على
المسميات.

وإن كنت أردت المعرفة بكنه البياض كيف هو وجوهره وكنه السواد وجوهره، فإن ذلك من خلق الله سبحانه الذي ركبه في عباده لا نقف عليه بغير هذا، والبياض والسواد والحمرة في المخلوقين فإنما ذلك أعراض جعلها الله فيهم وأقامها في صورهم؛ إذ العرض: «لا يقوم بنفسه ولا بد له من شبح يقوم فيه وبه».

وأما قولك: إنا إن قلنا أن الله أعلم به منا ألزمت أنفسنا الجهل، فهل سينكر بالك التحير من ابن آدم [الجاهل]^(١) وهل أوتي من العلم إلا قليلا فسبحان الذي لا يجهل ولا يتعلم، العالم بالسرائر والمطلع على الضمائر بما ظهر وبان كعلمه بما عي وانكتم في الجنان، الواحد الرحمن ذو العزة والسلطان.

[الأوقات والآخرة]:

وقلت: إن سألت سائل فقال: أخبرونا عن الآخرة أوقات تقضى وقت بعد وقت أم وقت واحد؟

قال: محمد بن يحيى عليه السلام الجواب في ذلك أن يقال له: أن الآخرة ليس تقضى ولا لها أوقات نزول، وإنما تكون الأوقات المنقضية

(١) مكتوب: الجهل.

لما كان له زوال وتقلب من حال إلى حال، والآخرة فهي حال واحدة قد جعلها الله سبحانه عليها ولو كان لها أوقات وأحوال تتحول إذا انتقلت بأهلها الزمان ودخل عليهم الأحزان وتلك دار ليس فيها تغير حال ولا أمد للآجال، وإنما هي مجعولة على أكمل الكمال لا تنظمها الحالات المختلفة ولا الساعات المنقصة، نعيمها دائم لا يزول وسرورها لأهل الطاعة سرمد ما يحول.

[علم الله]:

وقلت: إن سأل سائل فقال: أخبرونا عن الله عز وجل هل يعلم نفسه؟

والجواب في ذلك: أن هذه المسألة محال عن الله وجل عن هذه الصفة وقد بينا في العلم في مسائل أخيك الغطريف^(١) شرح هذه

(١) من الجواب: «فأما ما قالوا به - وفقك الله للهدى وأعانك على ما يجب ويرضى - من أن العالم لا يوصف عالماً إلا بشيء، والشيء: ما كان، وما يكون، وما يمكن أن يكون مما هو كائن.

وهذه - أكرمك الله - فصفة المخلوق المتعلم من بعد الجهل، والمهتدي من بعد الضلال، الذي لا يعلم إلا ما يشاهد، ولا يقف إلا على ما عاين، ثم هو بعد معرفته يجهل، وينسى، ويخلط في كثير من الأشياء.

المسألة وأجبنا بما قد نسخته له وستقف عليه، ولكن نقول: أن الله العالم بنفسه ولا يجوز أن نقول غير ذلك.

[صفة الرحمن]:

وسألت: عن صفته سبحانه بالرحمن أمن صفات الذات أم من صفات الفعل؟

[الجواب]: وهي من صفات الفعل.

فأما رب العالمين وأحكم الحاكمين ومالك يوم الدين فلا يوصف بهذه الصفة المذمومة، ولا يقول بها فيه إلا شقي وعن الحق مدبر عمي، إن الله سبحانه قد ركب في خلقه عقولاً جعلها حجج حق عليهم، لن تزله عن الإنصاف لها على باطل أبداً؛ لما ركب الله فيها من الحق والهدى، ولكن يكابر وهي توضح، ويمنع وهي تصرح، لا تقبل باطلاً، ولا تفارق أبداً حقاً، فمن أنصفها وترك المكابرة هدته إلى الطريق المثلى المصيبة للحق والتقى، ومن كابرها بجهله وجعل الغالب عليها هوى نفسه وعمي وحار وكان بلا شك من أهل الملكة والنيران. أرايت العين إذا عاينت حديداً، فقال صاحبها إن ذلك حديد! أليس قد كابر منصلقه ما أيقن به بصره، فلم تكن مكابرتة لنظره بمحول ما أيقن به عن خلقه، كذلك العقل لا يشهد أبداً بالصواب إلا لحق وإنما يقع الغلط من المكابرة والهوى والميل في طرف المنى أو عصبية أو حمية، فأما عند الانصاف والاستماع فلا يدخله عقله أبداً إلا في أفضل الأنواع وأقربها إلى الله محلاً وأبعدها من غضبه منزلاً...» [مسائل الغطريف بن طالب خ].

[صفة الحليم والكريم]:

وسألت: عن صفة حليم وكريم أمن صفات الذات أم من صفات الفعل؟

[الجواب]: فحليم من صفات الفعل، وكريم من صفات الذات.

[صفة المالك واستحقاقها في الأزل]:

وسألت: عن صفة مالك؟

[الجواب]: وهو من صفات الفعل.

وقلت: إن كان فيما لم يزل مالك أم غير مالك؟ ولو كان لم يزل مالكاً لوجب أنه لم يزل معه مملوك، ولو قلنا: أنه لم يزل معه ما يقع عليه اسم الملك لأفسدنا الأزلية وما صحت له سبحانه الوجدانية، ولكن نقول: لم يزل المالك ولا مملوك يوجد ولم يزل الخالق ولا مخلوق.

[صفة القاهر]:

وسألت: عن صفة قاهر هل يكون فيما لم يزل قاهراً وقد

[تنكرون]^(١) فيما لم يزل.

(١) لعلها كذا.

[الجواب]: وليس هذا مما يقال في الله عز وجل، والقاهر فمن صفات الفعل، وكذلك رقيب وحفيظ فهما أيضاً من صفات الفعل، وكذلك رقيب وحفيظ وهما أيضاً من صفات الفعل.

[صفات الذات وصفات الأفعال]:

ومن صفات الذات: سميع، وبصير، وعالم، وقادر، وقوي، وغني، وعزيز، وحكيم.

والفرق - يرحمك الله - بين صفات الذات وصفات الأفعال بين موجود أن كل اسم دخله التضاد فهو من صفات الأفعال، وكل اسم لا يجوز فيه التضاد فهو من صفات الذات فهذا يبين لك صفات الذات من صفات الأفعال.

من ذلك تقول: عالم ولا يقدر قائل أن يقول: ولا يعلم، وتقول: حي ولا تقدر أن تقول ليس بحي، وتقول: سميع ولا تقدر أن تقول ليس بسميع، فهذه وما أشبهها صفات الذات.

فصفات الأفعال أن تقول: يرزق ولا يرزق، ويعطي ولا يعطي، ويرحم ولا يرحم - يريد يرحم المؤمنين ولا يرحم الفاسقين - فهذا وما أشبهه من صفات الأفعال.

[استحالة فعل الله للقيح]:

وقلت: إن سألنا سائل فقال: هل يقدر الله على أن يظلم أو يجور أو يكذب أو يقول بالباطل؟

قال [محمد بن يحيى عليه السلام]: هذا قول محال لا يجوز في ذي العزة والجلال، إنما يظلم ويجور ويكذب ويقول بالباطل من يجر إلى نفسه منفعة أو يدرأ عنها مضرة، والله عز وجل بريء من ذلك مستغني وعنه متقدس، أي لا يستجلب إلى نفسه منفعة ولا يدرأ عنها مضرة سبحانه.

[قدرة الله وتعلقها بالحكمة]:

وقلت: إن سألنا سائل فقال: هل يقدر الله أن يجعل الأرض سماء والسماء أرضاً؟

فالجواب في ذلك: أن الله عز وجل قادر على كل شيء، وليس كلما قدر عليه فعله؛ لأن الحكيم لا يفعل من الأفعال إلا ما هو أصلح، وهو يقدر سبحانه أن يرد بني آدم إلى طيوراً ولكنه سبحانه لا يفعل، وإنما فعله حكمة متقنة وحجة قائمة.

[تنزيه الله عن المكان]:

وقلت: إن سألنا سائل فقال: أخبرونا عن الله عز وجل أفي شيء هو؟

فأجابه المجيب: أنه في الأشياء مدبر لها مقيم لها.

فقال: فأخبروني هل تزعمون أنه في الدار أو تحت البيت أو في التابوت أو في غير ذلك؟

فقلت: ما الجواب في ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: فيقال له أن معنى قولنا أنه بكل مكان أنه سبحانه عالم بكل مكان، محيط به لا يعزب عنه شيء من أمره، لا أنه يحويه كما يحوي البيت الإنسان عزَّ عن ذلك وتقدس ربنا العليم، البيان الواضح البرهان أو لا ترى أنك تقول: فلان دخل مشورة بني فلان وليس المشورة بيت يدخل فيه ولكن لما أن دبر معهم رأيهم وجال معهم في كلامهم جاز أن يقال دخل، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وليس السلم بيت ولا مهرب يدخل فيه، وهذا في القرآن كثير وفي لغة العرب وإنما خاطبهم الله عز وجل بلغتهم.

فنقول: أن الله سبحانه وله المثل الأعلى في كل مكان عالم بما فيه
محيط به مطلع عليه ﴿لَا يَغُزُّ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

[حكم جحد ما علم ضرورة من الدين]:

وقلت: ما الجواب لمن زعم أن محمداً صلى الله عليه غير محمد،
وإنما محمد رجل من الروم، وإنما محمد الذي كان بأرض العرب ساحر
كذاب!

فقلت: هل يكون مشركاً بقوله هذا أم لا؟

قال [محمد بن يحيى عليه السلام]: إن كان قصد بهذا الكلام
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي جاء بالآيات والمعجزات خاتم
النبیین وسيد العالمین فقد كفر، ووجب استتابته، فإن تاب وإلا قتل،
وسواء قال: ليس السماء والأرض خلق لله أو ليس محمد برسول لله،
ومن جحد صنع الله سبحانه في يسير خلقه كمن جحد جميع ما خلق
من بريته، فإذا أنكر أن يكون محمد صلى الله عليه رسولاً لله فقد كفر،

ومن كفر من بعد إيمانه وجب إقامة الحجة عليه، ثم القتل له من بعد إصراره ومعاندته للحق وإدباره.

[ما يجب معرفته وحكم المستحل للمحرمات وفاعلهما]:

وسألت: هل يسع جهل ضلال المستحلين؟
وقلت أيضاً: إن سأل سائل فقال: هل يسع الناس جهل ضلال المجرمين المرتكبين على التحريم وهل يكون المستحل والمحرم سواء؟
قال محمد بن يحيى عليه السلام: لكل فن من هذا جواب سنشرح فيه بعون الله ما يبين الصواب والقول في ذلك لمن قال: هل يسع جهل ضلال المستحلين؟ إن كنت أردت بقولك جهل ضلالهم أي لا يعرفون أن ذلك ضلال حتى تشبه عليه هو والحق في المقال وهذا ما لا يسعه جهله بل الواجب عليه أن يعرف أن من خالف ما افترض الله على خلقه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فهو كافر لا يسعه جهله غير ذلك.

وإن كنت أيها السائل أردت أن تعرف مقالاتهم جميعاً حتى تحيط بها فليس ذلك عليه، ويسعه جهله إذا قد عرف في الجملة الذي لا يسع أحداً جهله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو: ما افترض الله

عليهم في كتابه وعلى لسان نبيه خاتم النبيين، فإذا عرف ذلك على حقيقة المعرفة وجب عليه أن يعرف الحجة التي بها يناضل عن دينه ويدفع بها كل طاعن عليه في مذهبه، فإذا كان كذلك فقد سلم من الجهل والعمى وصار بعون الله إلى القصد والهدى، ولا ينبغي لمن عقل أن يترك التعليم والاستفادة للحجج التي تكسر بها على من خالف دين محمد صلى الله عليه [عليه] وضاده.

وأما ما ذكرت من المجرمين المرتكبين على التحريم فلم تصح المسألة فيها فنبين معناها، فإن كان السائل أراد بقوله: يسع جهل ضلال المجرمين المرتكبين أراد به جهل معاصيهم حتى لا يدري أحلال أم حرام فلعمري ما يجوز له ذلك حتى يعرف الحلال من الحرام، وما افترضه الله على جميع الأنام ويكون ذلك على أبين البيان.

وأما قوله: هل يكون المستحل للمعصية والمحرم سواء؟ فهذان معنيان مختلفان؛ لأن المستحل للمعصية غير مقرر بتحريم الله لها جاحداً لنهيها عنها فيكون حكمه حكم الكافر الجاحد لأمر الله سبحانه، والمحرم قد يكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون مستحلاً لما حرم الله سبحانه، فالقول فيه كالقول الأول.

[^(١)]والثاني: أن يكون مرتكباً معصية وهو يعلم أنها حرام عارف
بتحريمها غير قابل بإباحتها، فحال هذا خلاف المستحل؛ لأن هذا
فاسق كافر نعمة^(٢) والمستحل كافر مشرك جاحد لما أنزل الله.

وقد وصل بي - أكرمك الله بكرامته وأتم ما بك من نعمته -
كتاب من أبي محمد الغطريف بن طالب - تولى الله عونه وهدايته -
فيه مسائل في التوحيد مشبهة لمسائلك، وقد أجبت عليه ونسختها لك
في كتاب لتقف على فهمها إن شاء الله.

(١) تكرار للوجه الأول على أنه الثاني.

(٢) قال الإمام الناصر للحق عليه السلام: «لأن فعل الطاعات واجتناب المعاصي كالشكر
على نعم الباري تعالى، فإذا ارتكب العبد شيئاً من هذه المعاصي كان كمن لم يشكر نعمة
الله» الإيضاح في شرح المصباح ص ٢٧٤.

الفهرس

١	المقدمة
٥	التعريف بالمؤلف
٨	نموذج من المخطوط
٩	نص الكتاب
١٠	المقدمة
١١	الجسم والكون في المكان
١٤	الذات الإلهية والثبات
١٦	وجود الأشياء من العدم
١٦	خطايا الأنبياء
١٨	خطاب المؤمنين وشموله
٢٤	إنفاذ الوعيد
٢٦	البقاء بين الخالق والمخلوق
٢٧	التنقل في مآكل الجنة
٣٠	البقاء المطلق والبقاء النسبي
٣٠	العلم الاكتسابي
٣١	الأوقات والآخرة
٣٢	علم الله
٣٣	صفة الرحمن

صفة الحليم والكريم	٣٤
صفة المالك واستحقاقها في الأزل	٣٤
صفة القاهر	٣٤
صفات الذات وصفات الأفعال	٣٥
استحالة فعل الله للقيح	٣٦
قدرة الله وتعلقها بالحكمة	٣٦
تنزيه الله تعالى عن المكان	٣٧
حكم جحد ما عُلم ضرورة من الدين	٣٨
ما يجب معرفته وحكم المستحل للمحرمات وفاعلها	٣٩
الفهرس	٤٢